الضمانات الربانية

علي بن محمد المطري

الجمعة ٢٧ رجب ١٤٤٧هـ

الضّمانات الرّبّانيّة

إِنَّ الحَمدَ للهِ، نَحمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَمَ تسلِيمًا

أما بعد:

يجب على المسلم أَن يكون على يقين بِصِدْقِ وَعْدِ اللهِ، وكُونُوا وَاثِقِينَ بِرَبِّكُمْ، فَإِنَّ الثِّقَةَ بِاللهِ مِنْ عَلاماتِ كَمالِ التَّوْحِدِ، ومِنْ أَجَلِّ العِباداتِ القَلْبِيَّةِ، فَهِيَ تَفْتَحُ بابَ الرِّضَا والتَوَكُّلِ واليَقِينِ. وَمِنْ الثِّقَةِ بِاللهِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ، قالَ اللهُ تعالَى في الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ).

أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣)

التشاؤم لا يجلب إلا العسر، وحسن الظن بالله يفتح أبواب الفرج. ثق بكرم الله وعظيم فضله، فما ظننت به خيرًا ستجده، وما ظننت به شرًا سيصيبك.

وَيَدْخُلُ في ذلكَ: الثِّقَةُ بِالضَمَانَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، والسَّعْيُ لِلْفَوْزِ بِها، لِأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ لا يَتَحَقَّقُ إلا بِبَذْلِ الأَسْبابِ.

كيف تتحقق هذه الضمانات؟

إن الإيمان والعمل الصالح: هي الشرط الأساسي لتحقيق كل هذه الوعود، من خلال الثبات على الدين والامتثال للأوامر واجتناب النواهي.

العبادة والولاء لله: تحقيق العبودية لله والخضوع له، وإكثار ذكره وشكره، قال تعالى: {وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} (آل عمران: ٧٩).

الاستغفار عند المصيبة: ففي الحديث: "إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها".

و تكون من أهل الضمانات الربانية؟

بتحقيق الربانية: أن يكون الدين منهج حياة رباني، لا يستمد إلا من الوحي، ويعيش العبد لغاية الله.

اليقين والتوكل: الثقة الكاملة بصدق وعود الله وحسن الظن به.

الثبات على الإيمان: الاستقامة على طريق الله والعمل الصالح.

الصبر عند المصائب: قول "إنا لله وإنا إليه راجعون" مع الدعاء بالتعويض، يضمن الأجر والعوض.

العمل بالعلم: أن يكون الإنسان عالمًا بما ينفعه عاملاً به، مربيًا للناس على الخير، كما في صفات {الربانيين}.

أنواع الضمانات الربانية

١)التمكين والنصر:

تمكين المؤمنين في الأرض وإعطائهم السلطة والمكانة، كما في سورة النور.

النصر على الأعداء والثبات، قال تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد: ٧).

٢)الأمان والطمأنينة:

انتفاء الخوف والحزن عن أولياء الله، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: ٦٢).

الأمن من الظلم، فالله يؤمِّن عباده من ظلمه، قال تعالى: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (قريش: ٤).

٣)المغفرة والأجر العظيم:

مغفرة الذنوب ورفعة الدرجات لمن آمن وعمل صالحًا، قال تعالى: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (المائدة: ٩).

٤)الجنة والخلود:

الجزاء الأكبر هو دخول جنات الفردوس، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} (الكهف: ١٠٧).

٥)الرفعة والشرف:

القرآن نفسه مصدر شرف للمؤمنين، ورفع لقدرهم ومكانتهم، قال تعالى: {لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: ١٠).

٦) الكفاية والهداية والوقاية

من يقول عند الخروج من بيته كلمات يسيرات عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «من قال -يعني: إذا خَرج من بَيتِه-: بِسم الله تَوَكَّلتُ على اللهِ، وَلاَ حول ولا قُوَّة إِلَّا بالله، يُقَال له: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنه الشَّيطَان». زاد أبو داود: «فيقول -يعني: الشيطان- لِشَيطان آخر: كَيف لَك بِرَجلٍ قَد هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ؟».

أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٩١٧)

٧) الكفاية لمن يقرأ بالآيتين من سورة البقرة

قال ﷺ:«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» عن عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه أخرجه البخاري (٥٠٠٩)

٨)«ولا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح» رواه البخاري٣٢٧٥

٩) من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة حُفظ

قال ﷺ: «لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٩٢٨)، والطبراني (٨/ ١٣٤) (٧٥٣٢) واللفظ له، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (١٢٤)

١٠) حفظ الله لمن قالها صباحا ومساء

من قال:(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم)

قال ﷺ: «لم يضره شيء»

أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) واللفظ له، والترمذي (٣٣٨٨)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٩٨٤٣)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وأحمد (٤٤٦)

١١) كفاية الله لمن قالها سبعا صباحا ومساء من قال: حسبي الله لا إله إلا هو كفاه الله

هذا الحديث أخرجه ابنُ السُّني مرفوعًا[١]، وأخرجه أبو داود موقوفًا[٢]، وسكت عنه، ومثل هذا له حكم الرَّفع؛ لأنَّ ذلك لا يُقال من جهة الرأي، وهذا ظاهرٌ، وذلك أنَّه حصر هذا الذكر في الصباح والمساء من جهةٍ، كما حصره أيضًا بعددٍ معينٍ: سبع مرَّاتٍ، ثم رتَّب عليه هذا الحكم: كفاه الله ما أهمَّه، وقال: صادقًا كان بها، أو كاذبًا، مثل هذا لا يُقال من جهة الاجتهاد؛ فله حكم الرَّفع إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

١٢) من توكل على الله كفاه

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]

١٣) من استعاذ بكلمات الله التامات وُقِيَ من كل شر

قال ﷺ: «لم يضره شيء» (رواه مسلم)

١٤) من صلى الفجر فهو في ذمة الله

قال ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله»

الراوي: أبو هريرة رضي الله عنه رواه مسلم

١٥) من قرأ المعوذات كفتاه

قال ﷺ: «ما تعوذ متعوذ بمثلهن»

الراوي: عائشة رضي الله عنها

أخرجه أبو داود (١٤٦٣)، والطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (١٢٧)، والطبراني في ((الدعاء)) (٩٧٨)

المحدث: النسائي

١٦) من اتقى الله جعل له مخرجًا وكفاه

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]

١٧) من قال سيّد الاستغفار ومات في يومه أو ليلته دخل الجنة

قال ﷺ: «من قاله من النهار موقنًا به فمات من يومه قبل أن يمسي دخل الجنة، ومن قاله من الليل وهو موقن به فمات قبل أن يصبح دخل الجنة» (البخاري)

١٨) وسيد الإستغفار:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

١٩)ضمانة النجاة: "كُلٌّ لَّهَا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالْفَضلُ لِمَنْ سَبَقَ فَاستَبَقُوا الخَيرَاتِ" (الحديد: ١٠).

٢٠)ضمانة الرزق والتوفيق: "وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (الطلاق:٢-٣).

٢١)ضمانة مغفرة الذنوب بالتوبة: "إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ" (الفرقان: ٧٠).

٢٢)استجابة الدعاء: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر: ٦٠).

٢٣)الأمان والطمأنينة لمن اتقى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (الأنعام: ٨٢).

نعم، ضمانات رب العالمين صادقة لأنها مبنية على الحق والعدل الإلهي، وتتجلى في وعده للمؤمنين بالنجاة والتوفيق، وإجابة الدعوات، ومغفرة الذنوب لمن تاب توبة نصوحًا، وتأمين الرزق لمن اتقاه وأصلح نيته، وكلها ضمانات حقيقية تتجسد في الدنيا والآخرة بالثبات وحسن العاقبة إن صدقت النية والعمل

إن ثقة المؤمن بربه هي اليقين المطلق بكمال الله وقدرته وعلمه، وتظهر في حسن ظنه به، والتوكل عليه في جميع الأمور دون تعطيل للأسباب، واللجوء إليه في الشدائد مع الأخذ بها، وتتجلى في مواقف الأنبياء كموسى وإبراهيم ونوح عليه السلام، وهي أساس الثقة بالنفس، حيث يعلم أن الله يختار له الخير، وأن ما لا يدركه بعقله يكون خيرًا له وإن كرهه، متمثلة في التوكل وحسن الظن بالله واليقين، مما يقوي قلبه وينجيه.

معانيها وأركانها:

اليقين الكامل: التصديق بكمال الله وصفاته، وصدق وعده، وعظيم قدرته، وإحاطة علمه.

حسن الظن: أن يظن العبد بالله الخير، فيوفقه الله ويرزقه كما يظن.

التوكل الصادق: تفويض الأمر لله مع بذل الأسباب المشروعة، دون تواكل أو اتكال على النفس فقط.

اللجوء إليه: اللجوء إلى الله في أوقات الشدة والكرب لطلب الفرج وتفريج الهم.

مظاهرها وثمراتها:

تقوية القلب: تثبت المؤمن وتجعله يقوى على مواجهة المحن.

تيسير الأمور: يحقق الله ما يظنه العبد به من خير وتوفيق، مثلما حدث مع الأنبياء.

تحقيق الكرامات: تظهر في مواقف عظيمة كالنجاة من الأعداء بإذن الله.

الأخذ بالأسباب: لا تعني تعطيل العمل، بل هي الثقة بالله مع السعي.

الرضا بقضاء الله: التسليم بأنه ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وهو عين الخير.

أمثلة من القرآن والسنة:

{قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} لموسى عليه السلام عند البحر، فكانت المعجزة.

{فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ} لأم موسى عليه السلام، حيث ألقت طفلها في البحر بثقة.

إن مسَّنا الضرُّ أو ضاقت بنا الحِيَلُ***فلنْ يخيبَ لنا في ربِّنا أملُ

وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا***ربًّا يُحَوِّلُها عنّا فتنتقلُ

اللهُ في كلِّ خَطبٍ حسبنا وكفى***إليه نرفعُ شكوانا ونبتهلُ

من ذا نلوذُ به في كشف كربتنا؟***ومن عليه سوى الرحمن نتكلُ.

نعم، ضمانات رب العالمين صادقة لأنها مبنية على الحق والعدل الإلهي، وتتجلى في وعده للمؤمنين بالنجاة والتوفيق، وإجابة الدعوات، ومغفرة الذنوب لمن تاب توبة نصوحًا، وتأمين الرزق لمن اتقاه وأصلح نيته، وكلها ضمانات حقيقية تتجسد في الدنيا والآخرة بالثبات وحسن العاقبة إن صدقت النية والعمل

وصلى الله على نبينا محمد ،،،

علي بن محمد المطري

الجمعة ٢٧ رجب ١٤٤٧هـ